الفصل الثالث عشر

الطوفان العربي

١ ـ ١٣. حقد الأشرار على العالم.

يقول الرب: أعلن لشعبي عن رؤى نبوية، وابعث إليهم برسالة فليفهموها ثم ليكتبوها لأنها صحيحة وسوف تتحقق. لا تخافوا من أولئك الذين يمكرون بكم، ويخططون للإيقاع بكم. يريدون لكم السوء. لا تستسلموا لإرهاب أعداء الإيمان. إن الموت قريب وهو مصير كل إنسان. وسيطال الكافرين فلا تخشوهم.

يقول الرب: سأجلب على الأرض كوارث فظيعة ومخيفة. ستكون الحروب والمجاعات. سيكون الطاعون والخراب. ذلك أن المنافقين وضعاف الإيمان وسيئو الاعتقاد انتشروا في كل مكان. لقد وصل الشر إلى ذروته، لذلك يقول الرب: لن أبقى ساكتا إلى مدة طويلة عن أولئك المنافقين الكافرين الذين لا إله لهم. سأعذبهم قريباً. لقد أجرموا تجاه الرجال الصالحين. عذبوهم، اغتالوهم، أهانوهم. إن دمهم

المسفوك يستصرخ اللّه، يطلب الثأر والانتقام. إن أرواحهم المزهوقة تطالب بإدانة القتلة والمجرمين والاقتصاص منهم. فليؤمن الجميع ولايداخلهم شك أني سوف أستمع إلى دعاوي جميع الأشخاص الصالحين الذين استشهدوا في سبيل عقيدتهم. سوف آخذ بثأرهم، لن أضيع أعمالهم، وما بذلوه من أجل إيمانهم. لقد سيق شعبي إلى المذبح كما يساق قطيع الماشية إلى المسلخ للذبح. وآخرون سيساقون أسرى ورهائن إلى مصر. وسأفعل ما بوسعي لردهم إلى أرضهم. سوف أجلب الكوارث والنكبات على رؤوس المصريين كما فعلت ذلك سابقاً. سوف أخرب مساكنهم ومدنهم. لن تهدأ خواطر المصريين، ستكون حياتهم ندب وعويل. سوف أهزّ الأرض من أساسها. أنا اللّه سأضربهم بعنف عدة مرات. المزارعون سوف يشكون ويبكون لأن الزرع لن ينبت والأشجار سوف تتحطم بسبب العواصف الهائلة التي سوف تهب عليها، وبسبب البَرَدَ الذي سينهمر عليها من السماء.

٢ ـ ١٣. فوضى عالمية.

لقد أدين العالم وسيلاقي الناس قدرهم المشؤوم. الحروب قريبة جداً وستأتي ومعها الخراب والدمار. الشعوب تستعد وتتسلح لتحارب الشعوب الأخرى.

سيكون هناك اضطراب سياسي عام وكل فرقة تريد التغلب على رفيقتها لتستأثر بالحكم. سيتمرد الجنود على حكوماتهم الشرعية. وسيخرقون القانون. وسيسمحون لأنفسهم بالدخول والخروج من المدن متى شاؤوا وأرادوا.

الصراع على السلطة يزرع الخوف في قلوب الناس ويسبب الخراب والفوضى التامة. الجوع ـ الخوف ـ المعاناة. ستدفع الناس لكي يعتدوا على جيرانهم ويسلبوهم ممتلكاتهم ومدخراتهم دون رحمة أو شفقة.

يقول الرب: لقد دعوت ملوك الأرض في كل البقاع وفي جميع الجهات ليردوا ويعيدوا ما سلبوه من شعبي المختار، من عبادي المؤمنين. وسأعامل هؤلاء الملوك بنفس الطريقة المؤلمة التي عاملوا بها أتباعي المخلصين. سأستعمل قوتي وجبروتي ولن يكون هناك مجال لرحمة المذنبين والخاطئين. سيكون الموت من نصيب أولئك

الذين قتلوا عبادي الصالحين. إن غضبي متقد يحرق حتى النار، ويزلزل الأرض ويكوي أعدائي ويحرقهم كأنهم قشة. إنهم مذنبون لم يبالوا بأوامري ولم يحفظوا أسراري. سوف يدانون، سوف يهلكون. لن أرحمهم، سابعدهم عن ناظري. أيها المتمردون العاصون. لاتنجسوا معبدي المقدس. لايخفى على اللّه شيء. وهويعرف المذنبين والخاطئين. سيجازيهم وفق أعمالهم. سيكون الدمار نصيبهم والهلاك مصيرهم. سيسلمهم للموت الأبدي. الرعب والخراب سيحلان بالعالم ولايوجد مهرب لأحد. لقد أخطأتم أمام الرب ولن ينجو منكم أحد.

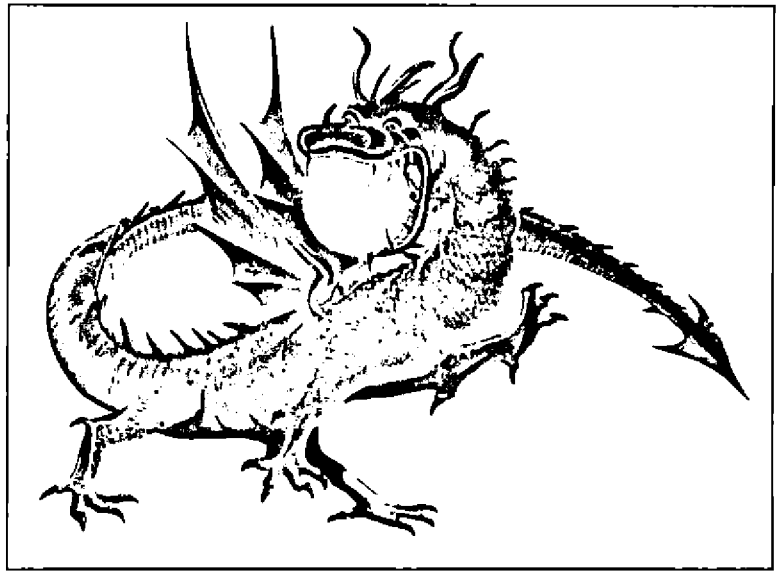

٣ ـ ١٣. يقظة العرب.

تتقدم جيوش العرب من الشرق. لقد استيقظ العرب فجأة من نومتهم وانطلقوا كالتنين الهائل ممتطين عرباتهم السريعة يريدون ابتلاع العالم.

الشعوب ترتجف فزعاً وهلعاً من الهجوم العربي. إن صوت تهليلهم وتسبيحهم ينتشر في الأرض ويدخل الرعب إلى قلب كل إنسان يسمعهم.

وبعنف وشراسة يتصدى لهم الكرمونيون[1] الذين ينطلقون من غاباتهم كأنهم خنزير بري متوحش، ويتقدم الكرمونيون بعدتهم التامة وسلاحهم الكامل، ليهاجموا التنين العربي. ويتمزق قسم كبير من بلاد آشور بأنياب الكرمونيين الحادة. ولكن العرب يوحدون صفوفهم ويجددون قواهم وينتزعون النصر المبين من عدوهم. سيتغلبون على عدوهم. ويتعقبون الخنزير البري الشرس. وسيهرب الجيش المعادي. بشكل جماعي وهو خائف مذعور.

سينصب العرب كميناً موفقاً لأعدائهم ويضربون في صمت وهدوء، ويجبرونهم على التراجع.

يهلك أحد ملوك الكرمونيين تحت ضرب القنا، وينتشر الرعب في جيشه ويتشرد مبعثراً في البلاد ويسود الضياع ويغلب التردد على باقي ملوك الكرمونيين.

---

(١) cormona مدينة في جنوب إسبانيا. قوة وحصينة. وفي الخرائط العربية قرمونة.

٤ ـ ١٣. غضب الطبيعة وغضب الإنسان.

غيوم عاصفة تملأ الأفق وتسد السماء، ثم تصب جام غضبها على الأرض. دماء غزيرة تملأ الأرض ورجال الحرب يغوصون فيها إلى ما فوق الركب. وسكان المعمورة يرتعشون خوفاً وهلعاً من المناظر الكريهة التي يرونها.

عاصفة من الغيوم الهائلة تهب بقوة على العالم فتدمر وتقضي على جميع الناس الموجودين. عاصفة من النار والبَرَد، وسيوف تخطف الأبصار تنقضّ نحو الأرض وتقضي على الأقوياء والحاكمين وأصحاب السلطة المتنفذين.

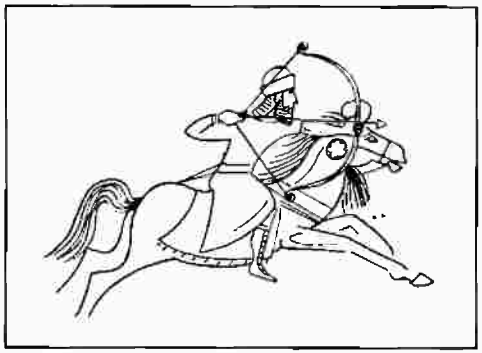

ستفيض الأنهار بطوفان عارم وتغرق الحقول وتدمر المدن وتقضي على الغلال والمحاصيل.

وسيبلغ اليأس مدينة بابل ويملؤها بالخراب. سيكون نصيبها الدمار. الغبار والدخان يعلوان في السماء، ليشكلا غيمة عظيمة.

ستبكي جميع المدن نهاية بابل وتندب حظها العاثر. أما مصير أولئك الذين نجوا من الموت فسيكون العبودية مع الذل للمنتصرين الذين دمروا المدينة.

٥ ـ ١٣. آسيا بعد بابل.

وأنت يا آسيا (شمالي سورية) فسوف تتلقين ضربة موجعة. أنت مدانة. لقد انضممت إلى بابل وشاركتها مجدها الزائف. لقد كان همك تقليدها ومحاكاتها. لقد ألبست بناتك ملابس العاهرات وسمحت لهن بمعاشرة محبيك الذين يتطلعون إليك بشبق داعر. لقد قلدت بابل في كل الأمور الماجنة والسخيفة التافهة التي فعلتها، لذلك يقول لك الرب: ستحل بك الكوارث والنكبات.

سأجعل منك أرملة تقضي حياتها بين الفقر والمجاعة. الحرب تهلكك والأوبئة تفنيك. سأجلب على بيوتك الدمار والخراب حتى تموتين.

ستذوي القوة التي تفخرين بها. ستذبلين كما تذبل الزهور تحت حرارة الشمس المحرقة. سوف تصبحين امرأة بائسة ضعيفة مخموشة الخدين منحنية الظهر كسيرة الفؤاد. وقريباً لن ينجذب عشاقك نحوك أولئك الأغنياء المستهترين.

يقول الرب: كان من الممكن أن لا أعاقبك بقسوة وعنف لو أنك لم تجرمي بحق شعبي المختار، ولكنك ابتهجت كثيراً وأنت تضربينهم وتلحقين بهم الأذى. وعندما سكرت وانتشيت افتخرت بأنك قتلتهم.

اصبغي وجهك وتزيني واقبضي أجرك أيتها العاهرة، فإني سوف استرجع منك كل ما أخذته بسبب ما فعلته بشعبي المختار. ستأتيك المصائب وستخضعين للموت. سيهلك أولادك جوعاً ستسقط مدنك وسيقتل رجالك. وأما سكانك القاطنون في الجبال فسيعانون من المجاعة التي تقودهم إلى أكل اللحوم البشرية وشرب الدماء. ستكونين بائسة جداً وإلى حد كبير. ولتعلمي أيضاً أن بانتظارك عقوبات أخرى لاتزال في طريقها إليك. وإن الجيش الذي دمّر بابل سوف يأتيك ويدمر مدنك الآمنة المطمئنة. سوف يخرب ريفك الجميل ويحرقه. سيحرق جميع غاباتك وجميع بساتينك وجميع أراضيك. ستمتلئ سهولك وجبالك بالخرائب المهجورة. وسيختفي بهاؤك ويضمحل سناك. سيستولي أعداؤك على ممتلكاتك وسيحملُ أبناؤك أسرى وسجناء.

٦ ـ ١٣. بابل ـ آسيا[١] سوريا ـ مصر[٢].

لقد حكم عليكم. أنتم مدانون. البسوا ثياب الحداد والحزن[٣] ابكوا وَلْوِلُوا من أجل أطفالكم فإن وقت العقوبة قد حان. سأبتليكم بالحروب. من يستطيع

---

(١) هي آسيا الصغرى ـ (الأناضول).

(٢) تلك هي بلاد العالم المتقدم في ذلك الزمان.

(٣) هي ثياب خشنة قصيرة. تصنع من وبر الإبل وشعر الماعز.

إيقاف تلك الحروب؟ سأرسل عليكم ناراً. من يستطيع إطفاء تلك النار؟ ستحل بكم النكبات والكوارث. من يستطيع إيقاف مجيئهما؟. هل يستطيع أحد صد أسد جائع في الغابة؟. هل يتمكن أحد من إطفاء نار ناشبة في قش يابس؟. هل يقدر أحد أن يرجع سهماً انطلق من قوس رجل قوي؟. وعندما يرسل الله النكبات فلا أحد ينجو من نار غضب اللّه المتقدة. عندما يلمع البرق ترتعش القلوب، وعندما يهدد الرعد ترتجف المفاصل، وعندما ينذر اللّه مهدداً متوعداً تنكبّ جميع الوجوه على الأرض وتتزعزع أسس الأرض، ويتصدع قعر البحر، وترتعش الحيتان في جوف الماء خوفاً من أن ينزل اللّه سخطه وغضبه على الأرض.

إنه يشبه رجلاً قوياً هائلاً يرى سهمه وشدّ قوسه وصوبه نحو الأرض، وهو لايخطئ الهدف أبداً. لقد أوقدت ناراً لن تطفأ حتى تحرق أسس الأرض. الكوارث في طريقها إلى الأرض كسهم أطلقه رجل قوي ولايمكن إرجاع السهم. لقد أدنت. لقد أدنت. من ينقذك في تلك الأيام؟. صراخ وعويل، بكاء وأنين، مجاعة حتى الموت. إنها الحرب وويلاتها وما يصاحبها من فوضى واضطراب. كوارث ونكبات وخوف وفزع. ماذا يفعل وقتها الناس؟.[1]

٧ ـ ١٣. مزيد من الخراب ومزيد من الدمار.

تأتي المجاعات والأوبئة، الآلام والمعاناة، لتعاقب، لتصحح مسيرة الناس في حياتهم ولتضبط سلوكهم. ولكن هل رجع الناس عن شرورهم وآثامهم. قريباً

(١) إن ما يراه عزرا هنا سيحل بدولة إسرائيل كما بشّر بذلك القرآن الكريم في سورة الإسراء: وإن إفساد اليهود في الأرض لن يترك بلا عقاب.

سينسون العقوبات التي حلّت بهم، وقريباً يأتي اليوم الذي يرخص فيه الطعام. سيظهر للناس أن وقت السلام قد حان، وأن الوفرة والرفاه سيدومان. ولكن الكوارث سوف تقفز فجأة في كل مكان، الحروب ـ المجاعات ـ اضطراب وفوضى عظيمان. سيهلك أكثر الناس. ومن ينجو منهم من المجاعة فسوف يقتل في الحرب. أما المحاصيل فسوف تقتلع وتُرمى كالفجل بلا قيمة أو أهمية. لن يوجد من يعزّي أو يزيل هموم الأحياء، لأن الأرض سوف تدمّر والمدن سوف تخرب. لن يُترك أحدٌ لفلاحة الأرض وزراعتها. ستحمل الأشجار الفواكه والثمار ولكن لن يكون هناك من يلتقطها. ستنبت المحاصيل وينضج العنب ولكن لن يكون هناك من يصنع الخمر منها.

سيصبح المكان قفراً مهجوراً ولن يلاقي إنسان إنساناً آخر. أو يسمع صوته إلا كل مدة طويلة.

عشرة أشخاص فقط سوف يُتركون في المدينة. وفي القرية لن يكون هناك أكثر من شخصين اختبأا في الغابة أو الكهف. تماماً مثلما يترك زيتونتان أو ثلاث على الشجرة بعد قطافها. أو مثلما يبقى عنقود أو عنقودان منسيان على شجرة الكرمة بعد قطافها، رغم حرص القاطف على أن لايترك شيئا منسياً. كذلك في تلك الأيام لن يبقى أحد. ثلاثة أشخاص أو أربعة سينساهم الجنود الغازون، الذين يفتشون كل المنازل ليقتلوا من يجدوه. ستُترك البلاد خاوية على عروشها. سوف تنمو الأشواك في الحقول. ستغطي الأعشاب المعيقة للسير الطرقات والممرات، لأنه لاتوجد حيوانات أو ماشية ترعى تلك الأعشاب.

الفتيات الشابات يندبن حظهن العاثر ويبكين مستقبلهن إذ لايوجد شباب يتزوجون منهن. الزوجات في حزن دائم على أزواجهن الذين فقدنهم. البنيات الصغيرات يصبحن يتيمات لا أحد يعطف عليهن أو يساعدهن. سيقتل الشباب والرجال في الحرب، وأما الشيوخ فيسموتون من الجوع.

٨ ـ ١٣. رسالة إلى الشعب.

والآن فليستمع إلى هذا النداء كل الأشخاص الذين يخافون اللّه ويعبدونه، فإنها رسالة موجهة إليهم. فليستلموها وليؤمنوا بما جاء فيها.

إن الكوارث تقترب بسرعة وإنها لن تتأخر. قد تعاني المرأة في الشهر التاسع من حملها، وقد تعاني من الآلام ساعة المخاض. ولكن حين تحين ساعة الولادة فلن يكون هناك أي تأخير. وإن العالم سوف يئن ويتأوه عندما تأتيه آلام المخاض.

استمعوا إلى رسالتي يا أبناء أمتي.

كونوا مستعدين لخوض المعركة. عندما يحين الوقت وتتوارد عليكم النكبات عليكم أن تعيشوا كأشخاص بيوتهم في غير هذا العالم. على التجار أن لايهتموا بمقدار الربح من تجارتهم، عليهم أن يفكروا بمهرب ينجي حياتهم. وعلى زبائنهم المتسوقين من تجارتهم أن يتوقعوا أن تسلب منهم مشترياتهم، وعلى الذين يبنون بيوتهم ومنازلهم أن لايأملوا بسكناها، وعلى المزارعين أن لايتوقعوا حصاد غلاتهم، وعلى المتزوجين أن لا يتوقوا إلى إنجاب الأطفال والذرية، وعلى الشباب العزاب أن يعيشوا كأنهم أرامل فقدوا زوجاتهم، لأن كل شيء يفعله الناس ذلك الوقت سيكون عديم النفع والفائدة. الغرباء المهاجمون سيحصدون الزرع. سيسلبون الثروة والممتلكات. سيهدمون البيوت. سيستعبدون الأولاد ويحملونهم معهم أرقّاء. ومن ينجو منهم فسوف يموت جوعاً. ستسلب الأموال عنوة وقهراً وعيون أصحابها تنظر ولكن لا تستطيع شيئاً.

أغنى الناس وأكثرهم جمعاً للمال، أكثرهم إنفاقاً وإسرافاً، أكثرهم أثاثاً وريشاً، أكثرهم اعتناء بالمظهر الخارجي لمنزله وأبهته وأناقته الشخصية سيكون الأكثر تعرضاً لغضب اللّه وسخطه، وذلك بسبب شروره وآثامه وخطاياه التي ارتكبها.

٩ ـ ١٣. انتصار رجال اللّه الصالحين.

وكما أن المرأة الشريفة الطاهرة تحتقر المرأة الوضيعة العاهرة، كذلك فإن رجال اللّه الأتقياء الصالحين يحتقرون الخطاة والمذنبين مهما كان المظهر الخارجي للأشرار أنيقاً وجذاباً. سيتصدى المؤمنون للشر الذي ملأ العالم. سيشجبون الخطيئة ويدينونها. سيواجهون حماة الرذيلة المدافعين عنها وجهاً لوجه. لذلك لاتتبعوا خطوات الأشرار ولاتفعلوا كفعلهم فقريباً جداً سيكنسون كالزبالة من العالم، وسيخضع العالم لسلطة الأتقياء والصالحين[1].

لا يخفى على اللّه شيء وأولئك الآثمون الذين يدّعون بالقول الصلاح والتقوى سيخجلون من أعمالهم وأقوالهم، لأن اللّه يعلم سرّهم وعلانيتهم، ومطّلع على داخليتهم ويعرف خططهم ومشاريعهم.

يا شعبي العزيز: إن اللّه خالق كل شيء ويعرف كل شيء. خلق الأرض بكلمة كن فكانت. خلق السماء ورتب فيها أماكن النجوم التي لايعرف عددها إلا هو. إنه يعرف كم هي أبعاد المحيطات وماذا يوجد فيها من أحياء وكنوز مخبوءة. جعل للبحر حدوداً لايتعداها وأظهر اليابسة، ومدّ السماء وثبتها فوق البر والبحر. جعل في الصحراء ينابيع وواحات وأنشأ البحيرات في أعلى الجبال وأجرى منها الجداول والأنهار تسقي الحقول والوديان.

خلق الإنسان وأعطاه قلباً وعقلاً وأعطاه الحياة والفهم والاستنتاج الذي هو سرّ اللّه في خلقه. إن خالق كل شيء عالم بسرّ كل شيء لا تخفى عليه خافية في الأرض أو في السماء.

---

(١) تلك هي أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم التي حكمت العالم بالعدل والرحمة وقضت على الرذيلة ونشرت الفضيلة والمساواة بين الناس.

١٠ ـ ١٣. الملائكة هم الشهود واللّه هو الحاكم.

يا شعبي العزيز: إن اللّه مطلع على سركم ونجواكم. والأشرار المذنبون الذين يريدون أن يستروا ذنوبهم وآثامهم قد أدينوا. إن اللّه يفحص كل عمل فعلتموه بدقة وعناية، وسيجلبكم إلى يوم المحاكمة. في ذلك اليوم سوف تكونون في قلق واضطراب إنه يوم الفزع الأكبر، يوم تعرض أعمالكم ونواياكم مكشوفة أمام جميع الناس، يوم تشهد ضدكم الأعمال الخاطئة التي قمتم بها. كيف ستخفون آثامكم واللّه هو حاكمكم والملائكة شهود عليكم؟ لذلك اتقوا اللّه واخشوه وخافوا منه. اهجروا ذنوبكم وابتعدوا عنها، اطرحوا الشرّ جانباً فإن فعلتم ذلك فإن اللّه ينجيكم من تلك المغمات.

إن عصابة كبيرة من الأشرار تستعد الآن للانقضاض عليكم وافتراسكم. سوف يغوون قسماً سنكم ويجبرونكم على أكل لحم الخنزير المقدم قرباناً لآلهتهم. لاتستسلموا لهم سيسخرون منكم. سيضللونكم. سيخيبون أملكم ويخزونكم ويذلونكم. سيكون هناك اضطهاد كبير ضد أولئك الذين يخافون اللّه. سيتصرف المهاجمون بعنف ووحشية. سوف ينهبون ويدمرون دون رحمة أو شفقة كل أولئك الذين لازالوا يخافون اللّه.

سوف يخرجونكم من بيوتكم ويأخذون جميع ممتلكاتكم[1]. هذه المحنة هي اختبار لشعبي الذي سيبرهن على أن رجاله أتقياء صالحين مثل الذهب الخالص الصافي.

(١) كما يفعل اليهود الآن بسكان فلسطين أصحاب الحق الشرعيين.

يا شعبي العزيز: استمعوا إلى ما سيقوله اللّه لكم. إن وقت المحن آت وقريب ولكني سوف أنجيكم. لاتخافوا وثقوا بي. أنا إلهكم وسوف أقودكم إلى النصر إذا حفظتم شريعتي وتعاليمي[1].

الرب يقول: لاتدعوا ذنوبكم وآثامكم تثقلكم أو تتحكم بكم. أما أولئك الذين كبلتهم آثامهم وسحقهم الشرّ فقد أدنتهم، وسيكونون مثل حقل مملوء بالشوك والحسك ولايستطيع أحد اجتيازه أو المرور فيه، أو الاستفادة منه إلا بإحراقه كاملاً. وهذا ماسأفعله بالمذنبين:[2]

هدم ـ حرق ـ تخريب ـ اقتلاع.

---

(١) وإذا حفظ المسلمون شرع اللّه فإنه سيقودهم إلى النصر القريب.

(٢) وهذه هي النتيجة الحتمية لدولة إسرائيل التي تعبث في الأرض فساداً وإفساداً دون رادع. وسيدخل المسلمون المسجد كما دخلوه أول مرة ـ سورة الإسراء ـ.